

تمّام حسان في معيار النقد اللسانيّ

د. مؤيد آل صوينت
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

د. خالد خليل هادي
كلية التربية- ابن رشد/ جامعة بغداد

المخلص

حوث طروحات د. تمام حسان اللغويّة روى معرفيّة خاضعةً للتقبّل، تارةً وللنقد تارةً أخرى، هذه الطروحات، منظوراً إليها بمعيار التساؤل والاستدلال جابهت مجموعةً من الآراء التي شكّلت حاضنةً انطلق منها البحث في تتبّع النقود المسجّلة على نظرية (حسان) اللغوية، فجاءت المحاولات النقدية ممزوجةً باستدلالات مستندة إلى منطلقات أصحابها المعرفية، ولم يكن من وكذ البحث تتبّع جزئيات النقد الموجّه إلى عمل (حسان) بقدر ما كانت غايته الوقوف على الركائز الأساسية لهذه المؤاخذات ومحاولة الوصول إلى عتباتها.

Abstract

the arguments of Dr. Tamam Hassan had reduced linguistic knowledge areas, which sometimes was a subject to acceptance and subject to criticism at the other times, These proposals consider it the standard of questioning and reasoning has been confronted by a range of views which formed an incubator set out research in tracking critical views recorded on the theory of language of Hassan critical attempts came mixed with inferences based on premises owners to cognitive. It was not usually to the research to follow the criticism to the work of Hassan as it was than stand on the pillars of the reservations concerning this and try to reach the doorstep

المقدمة :

تندرج التصورات المنطقية في اللسانيات، وفي غيرها من العلوم ضمن إطار عام، يعنى بكيفية بناء الممارسة الإجرائية ومدى ملاءمتها للمبادئ العامة التي تستند إليها النظرية المروم تبنيها. ونلفي هذا التصور بصورة جلية في المقاربة التي تبناها الوصفيون العرب، فمحاولة وصف اللغة العربية أضحت نتيجة حتمية لما اقترحه اللسانيون العرب، وقد ارتبطت هذه النتيجة بحاجة اللغة العربية إلى " إعادة النظر في منهجها وطريقة تناوله" (١).

ولعل من نافلة القول التذكير بأن اللغة الحية المنطوقة هي الميدان الذي يمارس فيه الوصفي إجراءته ويُعمل فيه أدواته، وهو أمر لم يغب عن بال الوصفيين العرب، الذين كانوا واعين لهذه الحقيقة، وأنجزوا في إطار ذلك رسائلهم وبحوثهم، ولم يكن الباحث تمام حسان خارجاً عن هذا النسق، فقد درس في هدي مقولات المنهج الوصفي لهجتي الكرنك، وعدن، وتحصل بدراستهما على الماجستير والدكتوراه في جامعة لندن.

وثمة مفارقة منهجية وقع بها الوصفيون العرب- وتما حسان أحدهم-، وهي أنهم حين يؤفون في اللسانيات يكتبون مصنفات في نقد النحو العربي القديم وفي إعادة وصف اللغة العربية القديمة، ولا يفكرون-انطلاقاً من أسس مدرستهم- بأنهم معنيون بدراسة اللغة العربية المعاصرة وحل مشكلاتها، فاللغة "نظام، ومن ثم، فهي موضوع قابل للوصف والملاحظة" (٢)، أو هي كما يصفها تمام حسان " منظمة ضخمة من الأجهزة المتكاملة المنسجمة التي تعمل كلها في اتجاه واحد" (٣).

وتأسيساً على هذا الفهم ركز تمام حسان في مقاربه اللسانية على ثنائية الشكل والوظيفة، بوصفهما أساسين من أسس المنهج الوصفي، قابلين للتطبيق في كل فرع من فروع الدراسة اللسانية، جاعلا من الوصفية معادلا للعلمية والموضوعية، مؤكداً على أن الاعتماد على الوصف ومقولاته هو التعاطي الوحيد الصالح لدراسة اللغة دراسة علمية دقيقة (٤)، وهو أمر شكك في جدواه عدد من الباحثين، ممن يتبنون نظريات لسانية مبينة للوصفية، على نحو ما نجد في اللسانيات التوليدية، التي ترفض مقولة الوصف وما تتطلبه من استقراء، فهي نظرية تفترض أن مهمة اللساني تتجاوز الوصف إلى التفسير، فالدكتور عبد القادر الفاسي الفهري يرى أن من أزمات البحث اللساني العربي ادعاء الوصفيين العلمية والمنهجية، ونفي ذلك عن سائر المناهج اللسانية الأخرى، و أن الوصفيين العرب وتما رائدهم يرفضون العلة، ونظرية العامل، والإعراب التقديري، وعدداً من الأصول والمفاهيم الموجودة في التراث، ويرفضون الخروج من شيء ملاحظ إلى شيء مجرد، بدعوى أنها أمور ليست من العلم، وأن العلم يكتب بالمشاهدة الخارجية، والتساؤل عن الكيف، ولا يتعدى ذلك إلى التساؤل عن علة وجود الظاهرة (٥).

ويرى باحث آخر أن تمام حسان لم يستطع الالتزام بمقولات الوصف " لأنه طبق منهجاً لا يستند إلى أساس نظري" (٦). ويلاحظ الدارس أن جل هذه التقويمات النظرية تركز على منطلقات أصحابها النظرية، فما أورده الفهري بشأن مشاغل تمام حسان الوصفية مستمد من الينابيع التأسيسية التي استقى منها الفهري مصادر تكوينه اللساني، وهي منابع توليدية كما نعلم، وينبغي لنا أن نذكر أن لسانيات تشومسكي عملت على مسارات مختلفة تماماً عن المسارات التي اعتمدها اللسانيات الوصفية. أما ما ذكر بشأن افتقار مقارنة تمام حسان لأساس نظري، وعدم التزامه بمقولات الوصف، فهو تحدي لا يبتعد كثيراً من المآخذ الأساسية المسجلة على المشاغل المعرفية التي تمثلها تمام حسان، متوخياً من طريقها بناء تصور للسانيات عربية قائمة بذاتها، تمتح من المصادر الغربية، لكنها لا تتقاطع مع الينابيع الأولى للتراث اللساني العربي، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر نجد أن النقد الذي وجهه تمام حسان لمدونة النحو العربي قد اعتمد في بعض مفاصله على ما جاء في التراث، ولاسيما ما أورده ابن مضاء القرطبي (٧).

و تعدُّ مقارنة الباحث عز الدين المجذوب من أكثر المقاربات التي عُنت بدراسة مدونة تمام حسان النحوية دقة وعمقاً، فهو يسجل لتمام حسان ريادته العلمية في ميدان البحث اللساني العربي الحديث، وفضله في ترسيخ معالم نظرية لسانية عربية حديثة، لكنه مع ذلك يأخذ على محاولته مأخذين رئيسين:

١-الأول يتعلق بالكيفية التي تقبل فيها علم اللسانيات، وتمثله إياها.

٢-الثاني يتصل بكيفية إعماله المفاهيم اللسانية في التراث النحوي ومدى توفيقه في تقويمه ونقده.

ففيما يختص بالمآخذ الأول فيرى أن تمثل تمام حسان لتأريخ اللسانيات فيه غموض وأخطاء في تصور المنعرجات الحاسمة في البحث اللساني، آية ذلك عدم إدراكه ما يميز اللسانيات من التفكير اللغوي الأوروبي القديم، وكل ما يذكره أنه تفكير قد انفصل عن التفكير الفلسفي، وهو قول غير خاطئ ولكنه لعمومه وقلة تفصيله يماثل الخطأ.

وأما المآخذ الثاني، فيرى المجذوب أن تمام حسان لم يتمثل جدة اللسانيات تمثلاً واضحاً، بحيث يعين الفرضيات الملائمة لنقد التراث النحوي العربي، بل لعلنا لا نجانب الصواب إن زعمنا أن اللسانيات لم تكن المرجع النظري ولا الفاعل، إن المرجع الفاعل في تفكير تمام حسان في نقده للتراث هو صاحب "إحياء النحو"، الذي شكّل هو ومن تبعه واقتدى به اتجاهاً ضاعطاً على كل متناول للتراث، وكان الجهد النقدي لتمام حسان يسير في إطار مدرسة التيسير، ولم يكن جهده ليتقاطع مع مبادئها وغاياتها (٨).

ويستطيع المنتبع للنقد الموجّه لتعاطي تمام حسان مع التراث رصد مجموعة من المآخذ التي

يمكن تسجيلها عليه، والتي يمكن إدراجها على النحو الآتي:

١- إنَّ تمام حسان في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" قد درس اللغة العربية بشواهد ونصوصٍ من كتب النحاة، فباين بذلك منهجه الوصفيَّ التزامنيَّ، الذي يدرس الظاهرة في حقبة محددة، وكان بإمكانه أن يسمي منجزه هذا بـ"اللغة العربية معناها ومبناها في القرنين الأول والثاني الهجريين"، لكي ينسجم مع مقررات منهجه وفرضياته.

٢- لم يقدِّم أنموذجًا نحويًا يقف أمام الأنموذج البصري، وإنما كانت محاولته في الحقيقة دراسةً نقديةً تسعى إلى إعادة ترتيب اللغة العربية على وفق المنهج البنيوي الوصفي، وهي محاولةٌ ميَّزت جهدَ تمام حسان من جهود الباحثين الآخرين، الذين يكتفون عادةً بنقد النحو العربي، من دون محاولة إعادة الترتيب، وفي أحيان أخرى يكتفون بتناول جزئياتٍ وجوانبٍ محددةٍ من مستويات الدرس اللغوي، ولا تنظر نظرةً شاملةً على نحو ما موجود في معناها ومبناها.

٣- استعار تمام حسان بعض أفكاره من اللسانيات، مع إعطائها مصطلحاتٍ عربيةً تراثيةً، ذات مفاهيم مستقرة قديمة، ومحاولة تأصيلها بالبحث عن مفاهيم تُشبهها في العربية، وقد جعل عمله أقرب إلى نحو سيوييه (ت١٨٠هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) منه إلى غيرهما، ولم يفعل ذلك عفواً بل كان قاصداً ذلك، وواعياً له. فـ"معناها ومبناها" في جوهره ليس أنموذجاً وصفيّاً للغة العربية الكلاسيكية أو المستعملة في هذا العصر، أو في أيِّ عصرٍ من عصور العربية أو إحدى لهجاتها، وإنما هو من قبيل إعادة النظر في كتب النحو والصرف (٩).

ويمكن القول إنَّ هذه النقود وغيرها تعود في مجملها إلى أنّ تحصيل الثقافة اللسانية في بواكيرها الأولى لم يكن بعيداً من إطار عام بسط هيمنته على آفاق تلقيها، فاللسانيون المصريون أرادوا أن يصوغوا مشروعاً تجديدياً نابعاً من رحم النظام العام للدرس اللغوي القديم، الذي اتَّجه بشكلٍ مركزيٍّ إلى وصف نحو العربية، سوى أنّ هذا التحديث اللساني إنما يقوم على أسسٍ نظرية مغايرة ميَّزته من محاولات التيسير النحوي، التي استندت في مجملها إلى المقولة العربية القديمة، على نحو ما فعل إبراهيم مصطفى ومهدي المخزومي، بمعنى أنّ اللسانيين المصريين لم يريدوا لمشروعهم أن يقوم على أساس القطيعة الكاملة مع الدرس اللغوي القديم، لذا تجدهم يتبنون اللغة الواصفة نفسها التي وردت في النحو العربي القديم، ولم يعمدوا إلى ابتكار لغة واصفة جديدة، واقتبسوا كذلك عدداً من المفاهيم النظرية القديمة، من قبيل التعدي واللزوم وغيره. وفي الوقت نفسه حاولوا أن يقدموا مفاهيمَ نظريةً جديدةً على نحو ما نجد عند تمام حسان، مثل مفهوم "القيم الخلاقية" و"الماجريات" و"التعليق" وغيرها، حتى هذه المفاهيم الجديدة حاول اللسانيون المصريون ضخها في إطار مشروع تطبيقي وصفي على اللغة العربية، سواء في الأصوات أم الصرف أم التركيب أم الدلالة، لذلك لم يكن من وكدهم التقديم الكافي للأسس النظرية للسانيات الحديثة ولا بخلفياتها المعرفية (١٠).

لا يستطيع أحدُ الادعاء أنَّ تاريخَ العلوم ميدانًا للبحثِ مستقلًّا بنفسه عن مساراتِ البحثِ الأخرى، فما يرشح عن علمٍ في مرحلة تاريخية معينة له علائقه بالطروحات السابقة واللاحقة له، فتاريخ العلم- بوصفه مجموعةً متماسكةً من الأفكار والرؤى- يؤرِّخ للتطورات المتعاقبة في صوغ المبادئ العامة المسوّرة للنظريات العلمية والعقبات التي يمكن أن تعترضها، بهذا التصوُّر يصبح تاريخُ العلم هو العلمُ نفسه إلى حدٍّ كبير؛ لأنه يعود بنا إلى أصول الممارسات العلمية لفهمها بكيفية أفضل وأعمق، من أجل توضيح شروط إنتاج المعرفة العلمية نفسها، فالعلم بالمعنى الواسع" له تاريخه شأنه في ذلك شأن الناس وشأن المفاهيم العقلية والأخلاقية، والعلماء في كلِّ جيلٍ لا يبدؤون من فراغ ولكنهم يعملون من خلال وعلى أساس الوضع الذي ورثه علمهم وورثه العلم بوجه عام في ثقافتهم وفي عصرهم"(١١).

ومن الملاحظ في كتابات الوصفيين العرب أنَّ إشكالية البحث اللساني تكاد تكون منعدمة الوجود، فهم لا يحددون أبعاد وجهة النظر التي يؤسسون عليها ممارستهم العلمية، لذا نجدهم يتبنون طروحات الباحثين الغربيين من دون تعليل اختيارهم لها، فضلا عن اختيارهم نظرياتٍ لسانيةً توحى للمتلقي بأنّها تشكّل المنهج اللسانيّ عموماً، من غير بيان التجديد والتطوير الذي يطراً على المعرفة اللسانية. مما تقدّم يمكن القول إن عودة الموفدين المصريين مثلت علامةً فارقةً في الدرس اللغوي الحديث وحداً فاصلاً بين محاولات التيسير ودخول الثقافة اللسانية التي أسّست لمعرفة لغوية حديثة تكالت بصدور عددٍ من الكتابات النقدية المتوسّلة بأدوات منهجٍ لسانيّ حديثٍ، بغض النظر عن جدوى تطبيقها على ذاكرة لغوية اكتسبت طابع القداسة على مرِّ تاريخها.

لقد تميّزت الكتابة اللسانية العربية الحديثة في تعاملها مع اللسانيات الوصفية بجملةٍ من السمات

نذكر منها:

١- عدم تحديد المصادر والأسس النظرية والمفاهيم المنهجية تحديداً واضحاً.

٢- الانتقائية في التعامل مع النظريات اللسانية الوصفية.

٣- السطحية في تناول المفاهيم والمبادئ اللسانية الوصفية(١٢).

تشكّل هذه السمات مجتمعةً الظلّ الذي رافق الكتابة الوصفية العربية عبر مدوناتها المختلفة، وينبغي لنا التنويه هنا بتفاوت حضور هذه السمات في الكتابة الوصفية العربية.

وتمثّل مقولة "الوصف" التي استمدها تمام حسان من مصادر نظرية انجليزية الحجر الأساس الذي أقام عليه نظريته، فقابل بين الوصفي وغير الوصفي، أو الموضوعي وغير الموضوعي، من دون الدخول في تناقض يظهر خصوصية المفاهيم والمقولات المندرجة تحت عنوان عائم، لقد ارتبطت الوصفية في تصور اللسانيين العرب بشكلٍ أساسي عبر نزوع البحث اللساني إلى التحلي بالموضوعية"(١٣)، وفي قبيل

هذا التصور يواجه الدارس نقداً يجعل الدرس الوصفي العربي مجموعة كتابات لا تُحدد بكيفية واضحة الإطار الذي تتدرج فيه، ولعلَّ أبرز مثالٍ على ما نقوله عمل تمام حسان (معناها ومبناها)، الذي يمكن اعتباره من عدة أوجه عملاً لسانيًا رائدًا، إن هذا اللساني لا يذكر المصادر والأسس النظرية والمنهجية الثاوية وراء مقارنته للغة العربية" (١٤).

وينطلق تمام حسان في التحليل البنيوي للغة العربية من نظريةٍ يصفها بأنها "نظريةٌ جاءت نتيجة تجارب قرون في الغرب، فهيكلاً غربيً وتطبيقاً في اللغة العربية هو القسط الذي أنا مسؤولٌ عنه في هذا الكتاب" (١٥)، وهذا التطبيق على اللغة العربية كما يقول يتمُّ على مستوى اللغة الفصحى أولاً مع التمثيل أحياناً باللهجات العامية، معنى هذا أننا أمام نظرية غريبة على العربية الفصحى، وهكذا تُطرح قضيةٌ تبني الثقافة اللسانية وهضمها وإعادة توزيعها بصورةٍ واضحةٍ على ساحة الفكر اللساني العربي، وسواء أكان المنهج المتبنى وصفيًا أم تاريخيًا، فقد أحدث ذلك نشاطاً في حركة التدوين اللساني العربي وفتح آفاقاً جديدةً له، فهو يروم إثبات الذات وانتظامها في لحظة السؤال الصادم في الثقافة العربية، ألا وهو سؤال التراث والمعاصرة؛ لذا جاءت معظم الطروحات على شكل موقف يضع أمامه تصوراً رئيساً مفاده أن التراث قد قَدَّم بعض أدوات المناهج الحديثة، ومنها المنهج الوصفي، وهو أمرٌ عبَّر عنه تمام حسان قائلاً: "ومنهج النحاة العرب منهج الوصفية الذي يباهي به المحدثون، وأوضح ما يكون ذلك في نشاط النحاة الأولين الذين كان يغلب على ألسنتهم أن يقولوا (والعرب تقول كذا) بدلاً من قول الأمرين (يجب)" (١٦).

لقد قَدَّم تمام حسان أوفى قراءة للنحو العربي عبر تأليف أربعة: اثنان منها عرض فيهما أصول اللسانيات الوصفية، وهما "مناهج البحث في اللغة" و"اللغة بين المعيارية والوصفية"، أما الاثنان الآخران فقد خصصهما لدراسة التراث وتقويمه، وهما "اللغة العربية معناها ومبناها" و"الأصول"، لكن هذا التقسيم لا يعني أن تقويم التراث غائبٌ عن كتابيه الأولين، بل كان حاضرًا في كتابه الأول حضور الهاجس الملح، وهو الذي قَدَّمه مدخلا لهذا العلم (١٧). ويطلق الدارسون على المزج بين التراث والحداثة مصطلح "التوفيق المعرفي"، وهو ما عبَّر عنه تمام حسان بوضوح بقوله: "وتشعبت المسالك أمام الشعب... فوجد أمامه طريقاً يقوده إلى التراث العربي الخصب، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التاريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقاً في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف يمكن أن ترقى به إلى مستوى هذه الأمم، ثم رأى لو أنه سلك الطريق الأول فحسب لانتقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانتقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضَّل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحى إليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة" (١٨). وأخذ بعض الباحثين على تمام حسان مثل هذا التوجه في مشروعه اللساني على اعتبار أن اللساني الذي

يأخذ بمبدأ التوفيق المعرفي لم يتمكن في أحسن الأحوال من تحقيقه إلا من طريق وصف ظواهر لغوية قليلة جدا من العربية، بحيث لا يعتد بالتأليف المنجز في هذا المجال للحكم على هذا التوجه بالورود والنجاح، وسرعة العدول عنه إيدانً بفشله المحقق، لكن تمام حسان -بحسب بعض الدارسين- تخلى عن فكرة التوفيق المعرفي وانقلب تراثياً خالصاً، منذ العام ١٩٨١م تأريخ صدور كتابه "الأصول"، حتى ان كل الدراسات التي ظهرت بعد هذا التاريخ أنجزت في إطار الفكر اللغوي العربي القديم (١٩). ويمكن تلخيص النقد الموجه إلى تمام حسان في هذا الخصوص في نقطتين:

- تتمثل الأولى في أن عمله يتمظهر في ظواهر لغوية قليلة جدا.

- أما الثانية فإنها تتضح في أن تمام حسان انقلب تراثياً وكتب في لسانيات التراث من دون أية إضافة. ويبدو أن هذا النقد تعوزه الدقة، ذلك أن كتابات تمام حسان المختلفة غطت قطاعات واسعة في وصف ظواهر اللغة العربية، وهو أمر أثبتته الدارسون، الذين أشاروا إلى أن كتاب تمام حسان "معناها ومبناها" يقف وحيداً في مجال تطبيق النظرية اللغوية الحديثة، وأعني الإطار العام والتحليلي للبنى الوصفية (٢٠)، فهو كتاب يدعو إلى بناء جديد للنحو العربي، أي إن منجز تمام حسان يتصف بالشمول والإحاطة لمعظم الجوانب اللسانية للغة العربية.

أما بشأن المأخذ الثاني ففيه نظر من جهة أن المؤلف منذ بداية أعماله تبنى فكرة التوفيق المعرفي، الذي يدعو إلى ربط المناهج اللغوية الحديثة بالتراث.

لقد حاول تمام حسان أن يتمثل جده اللسانية بالنظر في التراث العربي تماما كما صنع اللسانيون الغربيون مع تراثهم، فطرح سؤاله المهم الذي نوهنا به، وهو هل خلص العرب الدراسات اللغوية من شوائب التفكير غير اللغوي؟ وأجاب بالنفي، وافترض أن ما عاب به اللسانيون الغربيون تراثهم اللغوي ينسحب انسحاباً كبيراً على التراث العربي، مركزاً على ثنائية أشتهر بها وتابعه في استعمالها الكثير من ناقدى التراث، وهي ثنائية المعيارية والوصفية (٢١).

إن فضل تمام حسان لا يقتصر على تمثله ما سمّاه المنهج الوصفي وحسن نشره والتمثيل له بشواهد من الفصحى أو من اللهجات، بل يتجاوزها إلى محاولة إدخال التراث النحوي العربي في حوار مع اللسانية، وبحسب له أنه قدم في أول مؤلف له (مناهج البحث في اللغة) التحليل البنوي للغة العربية، على الرغم من أنه لم يستعمل مصطلح البنوية في كتابه، فضلا عن أنه عرض فيه لعدد من النظريات اللسانية المتباينة، بدءاً بأفكار دي سوسير، مروراً بنظرية بلومفيلد، ومن ثم الكلام على جون روبرت فيرث ونظريته السياقية. لقد جاءت المعرفة اللسانية في مدونات تمام حسان مسكونة بهاجس تقديم المعرفة اللسانية الحديثة للمتلقى العربي، بغض النظر عن التداخل بين الاتجاهات اللسانية المختلفة، لذا اتّسمت تلك المدونات بطابع الانتقائية في التعاطي مع النظريات اللسانية المراد توصيلها إلى المتلقى العربي.

لقد جاء ارتباط مقولة الوصفية والمعيارية بإشكاليات نشأة درس اللساني العربي، ويعد تمام حسان من أوائل الطارحين لهذه الإشكالية في الثقافة العربية، واستصحب تبنيه مقولات الوصفية جدلاً، يمكن تصويره على النحو الآتي:

- ١- إن مفهوم المعيارية ينضوي تحت ثنائية غير محكمة البناء، وإن مفهوم الوصفية الذي وضعه ليكون مقابلاً للمعيارية لم يكن ضديداً على نحو التباين والتنازع، وإنما هو ضديداً للتأمل الفلسفي العقيم.
- ٢- عدم تبنيه موقع ما أخذه وما تمثله من حساب العلم، ولا الانتباه إلى نسبه، فتراه يتحدث عن المنهج الوصفي وكأنه وحدة واحدة (٢٢).

وفي قبال هذا النقد تتبدى آراء مغايرة لما طُرح بشأن تبني تمام حسان لمقولات الوصفية، إذ يرى باحثٌ معاصرٌ أنّ ما كتبه عن هذا المشكل قد خلّص الفكر اللغوي العربي الحديث من العموميات التي صاحبت دعاة التيسير والإصلاح، ومن الخلط بين الوصفية والتاريخية عند بعض رواد الفكر اللغوي العربي (٢٣). وتُرجع بعض الآراء مقولة الوصفية إلى جهود الميسرين والمقارنين، إذ يرى صلاح الدين الشريف أنّ مقولة الوصف بدأت عند المقارنين والميسرين، فأنشئت عند الميسرين بالعمومية وعند المقارنين بالتاريخية، وقد كانت تلك الجهود ممهدةً لجهود نقد اللسانيات الوصفية للتراث اللغوي العربي (٢٤).

- ٣ -

تُشكّل المصادرُ الينابيعُ الأولى في التأسيس لأيّ نظرية معرفية تتسم بالضبط والتحديد، ذلك أنّها تمكّن الباحث من الإحاطة بالمسائل والظواهر التي تُعالج ضمن إطار محدد، فضلاً عن أنّها تتيح الوقوف على المنعرجات التي مرّ بها البحث اللساني، وما رافقه من معارف ومناهج وطروحات نظرية وتطبيقية. غير أنّ الإطالة على المدونات اللسانية المنتمية إلى الحداثة في بداية دخولها إلى الساحة اللسانية العربية تكشف عن عدم ذكر المصادر الفكرية التي أخذ عنها اللغويون العرب المحدثون، وهو أمرٌ يكاد يكون سمةً بارزةً من سمات التأليف اللغوي عند الباحثين العرب (٢٥). وهذا الانطباع امتدّ ليشمل منجز تمام حسان اللساني بمجمله ولاسيما كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)، الذي وضع فيه مشروع اللساني، والذي يلحظ المنتبِع له عدم ذكر المصادر التي استقى منها مادته البحثية، وقد أخذت هذه المسألة مكانةً مركزيةً في نقد تمام حسان، وهذا النقدُ شمل أغلب مصادره سواء أعرابيةً كانت أم غربيةً، فهو لم يذكر من المصادر التراثية سوى سيبويه (١٨٠هـ) والجرجاني (٤٧١هـ) وابن مالك (٦٧٢هـ) والأشموني (٩٢٩هـ)، في حين يؤكّد أنّه "بصدّد نقد تراث لغوي كامل"، أما المصادر الغربية فقد أهملها على الرغم من أنّها كثيرة ومتنوعة (٢٦)، وحين يتحدث حسان عن بعض المفاهيم الأساسية في التحليل البنوي، مثل العلاقات السياقية ومبدأ الاستبدال وغيرها فإنه لا يشير البتة إلى مصادرها الأصلية. ولم يقتصر هذا الأمر على

مؤلف (معناها ومبناها) بل تجاوزه إلى مؤلفات أخرى مثل محاولته الموسومة ب(التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها)، إذ يرى أحد الباحثين أن هذا العمل "بالإضافة إلى الخط الواضح في عنوانه يتميز بالانطباعية والخروج بالمصطلحات اللسانية التطبيقية عن مفاهيمها المألوفة، لذلك لا نجد في الكتاب مساهمة حقيقية في اللسانيات التطبيقية، فليس في مراجع الدراسة أي إشارة إلى مرجع لساني في موضوع اكتساب اللغة أو تعلمها" (٢٧).

وإذا كان المؤلف ضئيلاً بذكر مصادره فإن بعض اختبارات ومقدماته فضلاً عما أسلفناه في كتبه السابقة ترجح اعتماده على النظرية السياقية التي أرسى دعائمها أستاذه فيرث، الذي أخذ عنه في أثناء دراسته في بريطانيا، وعمد إلى المزج بين آرائه وآراء دي سوسير، يدل على ذلك تعريفه للمعنى وتشقيقه فروعا ثلاثة.

وتعود فكرة المقام التي تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء إلى أستاذه فيرث الذي جعلها نظرية لغوية كاملة في دراسة المعنى بما له صلة بالمبنى، ويؤكد الباحث صلاح الدين الشريف أن تمام حسان ينتمي في دراسة اللغة إلى منحى اجتماعي، ربما ترجع أصوله إلى المدرسة البريطانية أو إلى فيرث نفسه، ولم يقطع بذلك لانعدام وجود اسمي مالمينوفسكي أو فيرث في الكتاب، غير أن الباحث عز الدين مجذوب جزم بانتفاء تمام حسان إلى مدرسة فيرث، بالرجوع إلى كتابه الأول (مناهج البحث في اللغة)، حيث يرد اسما مالمينوفسكي وفيرث وتحديداً في الفصل الذي تكلم فيه على الدلالة (٢٨).

غير أن انتفاء تمام حسان إلى المدرسة البريطانية لم يسلم من النقد، إذ يرى الباحث أحمد العلوي أنه ليس من المعقول في شيء أن نقوم بكتابة لغوية تحت مراقبة سلطة لغوية أخرى كما فعل تمام حسان في كتابيه (معناها ومبناها) و(الأصول)، إذ كتبهما تحت مراقبة اللغويات الانجليزية (٢٩). ويبدو أن عدم ذكر تمام حسان مصادره لم يكن أمراً غير مقصود، فالباحث أراد أن ينتج نصاً تأسيسياً يقارع به الأممات والأصول من غير أن يعتمد على مصادر متنوعة أو متعددة، وإنما استند إلى التفصلات الأساسية للنظرية التي تبناها، يقول في كتابه (معناها ومبناها) "ووفقت في هذا الكتاب الذي أراه جهداً متواضعاً إلى استنباط منهج للنحو العربي يحمل آثار المذهب البنيوي، ولكنه لا يلتزم به التزاماً مطلقاً، فلم اعتمد في تفكيري في مادة هذا الكتاب إلا على اجتهاد خاص في ضوء تكويني الشخصي، في ظل أفكار النحاة العرب، وما تعلمته من الدراسات الحديثة" (٣٠).

- ٤ -

تنوعت الكتابات اللسانية العربية بين لسانيات تمهيدية ولسانيات تراثية ولسانيات حديثة، وقد شمل هذا التنوع مجمل المدونة اللسانية العربية، فاللساني العربي قد يزاوج بين كتابتين لسانيتين أو أكثر تتباعدان أو تلتقيان في الموضوع والمنهج والغاية. وجاءت كتابات تمام حسان ضمن إطار هذه الخارطة، فكتابه

البكر (مناهج البحث في اللغة) يمكن تصنيفه على أنه يندرج في إطار اللسانيات التمهيدية، حاول فيه إدخال الثقافة اللسانية الحديثة إلى الثقافة العربية، أما كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) فيمكن توصيفه بأنه محاولة تسعى إلى تقديم خطابٍ لسانيٍّ عربيٍّ، سواء تحت مسميات لسانيات التراث أم تحت عنوان اللسانيات العربية، ومن هنا جاء توصيفه بأنه محاولةٌ سعت إلى قراءة التراث بغية استخراج نظرية لغوية دلالية، أساسها المعنى، تقارب النظريات اللسانية الدلالية الغربية، التي زحزحت الاتجاهات الشكلية في دراسة اللغة عن مكانتها الأولى، وكان لهذه الدراسة أثرها البليغ في الدرس اللغويّ العربيّ الحديث، لما اتّسمت به من نزعة شمولية تسعى لاحتواء أنظمة العربية، عبر مقارنة تصل بين التراث والاتجاهات اللسانية الحديثة، منطلقاً من تصور رئيس مفاده: أنّ الدراسات اللغوية العربية كانت معنيةً بالمبنى أكثر من عنايتها بالمعنى، وأنّ دراسة المعنى كانت لاحقة للنحو العربي، مع النقد الذي وجّهه عبد القاهر الجرجاني للنحاة العرب، الذين أهملوا المعنى، وحصروا عنايتهم به بفكرة أنّ الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فعبد القاهر يرى أنّ مدار الأمر كلّهُ هو توخي معاني النحو، لذلك جعل تمام حسان مشروعاً في هذا الكتاب امتداداً لمشروع الجرجاني، غير أنّ اهتمام تمام حسان بالمعنى - بحسب بعض الباحثين - تجاوز الحدّ المعتدل، وقد جاء هذا الاهتمام على حساب دراسة التركيب، فمن يُنعم النظر في أنموذجه لا يجد عناء كبيراً في عدم الاهتمام بالجملة العربية، مع أنّ الدارسين جميعاً متفقون على أنّ الجملة هي الباب الذي يلج منه المحدثون في دراسة النحو العربي، لقد عوّل تمام حسان في تشكيل (مفهوم المعنى) على نظرية السياق كما وردت عند فيرث، واهتمامه الشديد بالمعنى هو الذي جعل كتابه خالياً من معلوماتٍ وافيةٍ عن التركيب، فخلا الفصل الذي عقده للنحو من كلّ إشارةٍ إلى مفهوم البساطة والتركيب في الجملة وصار أقرب إلى المفهوم التقليدي للنحو منه إلى المفهوم اللساني الحديث (٣١). ويكاد هذا النقد الذي وجّه إلى مشروع تمام حسان يأخذ طابع الاجترار عند معظم الباحثين، لكن بواكيره بدأت مع الباحث صلاح الدين الشريف، الذي يعد صاحب أهم مراجعة نقدية لكتاب (معناها ومبناها)، غير أنّ قوله بإهمال تمام حسان الجملة وعدم عنايته بها، يتناقض مع ما ذهب إليه الباحث سعد مصلوح، الذي يرى أنّ جوهر الإنجاز العلمي لمعناها ومبناها هو تقديم صيغة كاملة لنحو عربي حقيق بأن يوضع في باب (نحو الجملة) (٣٢)، هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف يمكن قراءة تموضع نظرية (تضافر القرائن) التي احتفى بها تمام حسان أيّما احتفاء، وساقها بديلاً عن نظرية العامل النحوي إذا كان عمله قد أهمل الجملة؟ ومن بدهاة القول التأكيد على أنّ نظرية تضافر القرائن تمثل الظاهرة الأكثر حضوراً في التركيب الجمليّ المسئل من المعنى وفقاً لتصورات تمام حسان، نعم قد يكون المعنى هو المهيم على مدونة تمام حسان النحوية لكن هذا لا يعني أنّ أحياز القول عنده ارتهنت بإسار المعنى ولم يقدم مفاهيم تنتمي لإطار أشمل هو تقديم فهم جديد لما سجّله النحاة العرب، وهو تصورٌ انتهى بصاحبه إلى تشقيق المعنى إلى

ثلاثة معان: أحدهما المعنى الوظيفي، والثاني المعنى المعجمي، والثالث الاجتماعي (٣٣)، وهو تقسيم افتقر بحسب بعض الباحثين إلى الخيط الرابط بين تلك المعاني المختلفة والمستويات المتعددة، ونعني بذلك العامل الإعرابي، بوصفه أولاً المسيطر على البنية الإعرابية، وثانياً المولد لكل الدلالات النحوية. إن المؤلف لم يتنبه إلى هذا الخيط الذي ينعقد به المعنى؛ بسبب ما كان دارجاً في زمن تأليف الكتاب من معاداة لنظرية الإعراب، ومحاولاته لمراجعتها وإعادة تأسيسها على مفهوم القوانين الدلالية التي لا تستند إلى معاني النحو بقدر اعتمادها على المعنى المقامي الاجتماعي، والمعنى المعجمي، والمعنى الوظيفي، يقول صلاح الدين الشريف: فإذا كان صحيحاً ما رأيناه من اتصال الكاتب بأراء فيرث فحن أمام كتاب أخذ من النحو القديم وصفه وتحليله، ومن البلاغة اهتمامها بالنظم والتركيب سابقاً هذا كله في قالب واحد، متبعاً في عمله مبادئ دلالية مصدرها مدرسة لندن وموقفها المعارض للبنىوية الشكلية التي سادت في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي عزلت المعنى في تحليلها اللغوي وأهمته (٣٤). وتركز نظرية فيرث على فكرة مفادها: أنّ عملية تحليل أي ملفوظ تقتضي تحليله إلى جملة سياقات مرتبة فيما بينها هرمياً، مبتدئين بأصغر وحدة تسهم في تشكيل المعنى ثم ننتج إلى وحدات أكبر إلى أن نصل إلى الوحدة الكبرى، ألا وهي السياق المقامي، بحيث يكون المعنى هو حصيلة تركيب كل هذه السياقات، وانضواء بعضها داخل بعض، من غير أن يختص المعنى بمستوى لغوي معين من مستويات التحليل دون آخر، على نحو ما هو شائع من نسبة المعنى إلى مستوى لغوي معين أو وحدة لغوية مثل الكلمات والمركبات دون غيرها من العناصر اللغوية. واستناداً إلى هذا التصور التجزيئي للمعنى يرى الباحث عز الدين المجذوب أنّ تمام حسان لم يحمل دائماً ثنائية المبنى والمعنى على وفق ما يقتضيه التصور الذي عرضناه للنظرية السياقية للمعنى، ولم يؤول المعنى دائماً على وفق هذا الفهم التركيبي، بل إنّه في بعض الأحيان ينزلق في متهاتات المعنى الحدسي، كما يفهمه هيلمسلف، وتأسيساً على ذلك ينصّ المجذوب على أنّ الفاعل في نقد تمام حسان للتراث هو صاحب إحياء النحو، لكن هذا الفرض به حاجة إلى مزيد من التدقيق، نظراً إلى النقائص التي اعترضت نظرية فيرث (٣٥).

- ٥ -

يمثل الغرض أو الغاية من علمي النحو والمعاني المميز الأساس في التفريق بينهما، فبين غرض يؤطر النحو بسلامة التركيب وخضوعه لمعيار الصحة والاستقامة، ليبنى في أثناءه أحكاماً تأخذ طابع الشمولية الإطلاق، وغرض آخر يجعل غايته الجمع بين مكونات التركيب والبحث في معناها مركبة تحت مسمى معاني النحو أو علم المعاني، ولمّا كان هذا التداخل بينهما ضارياً في المتن اللغوي العربي جاءت التصورات اللسانية لتدلي بدلوها في هذا الشأن، فكتب تمام حسان في مواضع متفرقة من كتاباته بشأن هذه القضية، وعالجها بتصورات عمومية تارة وتفصيلية تارة أخرى، وقد حظيت آراؤه في هذه المسألة

بمراجعات ونقود متعددة، وينبغي لنا أن نذكر هنا برأي تمام حسان الذي يرى فيه أن الفاصل الرئيس بينهما هو أن النحو يقف عند حدود الجملة، وأن علم المعاني يتجاوز حدود الجملة إلى العلاقات بين الجمل. وهو تفريق لم يقبل به الباحث أحمد العلوي الذي رأى أن هذا الفارق لا يسري في جميع المواضع، ومن الأصوب أن نبحث عن فروق أخرى، فكثير من الأبواب نراها مشتركة بين العلمين، وقد أشار إليهما تمام حسان نفسه بقوله إن المعاني تكون فيها عالية على النحو، وليس ذلك بصحيح فاتفاق الموضوعات لا يعني اتفاق التناول والموقف، فاتفاق النحو وعلم المعاني في بعض المواضع لا ينبغي له أن يخدعنا فنغفل عن الفارق الأساس، وهو أن النحو يدرس أعمال الواضع وعلم المعاني يدرس أعمال المتكلم (٣٦)، والعلاقة التي أقامها تمام حسان للتفريق بين العلمين لا تتعدى حدود فهمه ظاهر النص الذي استشده به، وبعد أن يورد أحمد العلوي مجموعة من التحديدات المائزة لكبار العلماء يخلص إلى أن تمام حسان لا يميز المعاني النحوية من المعاني البلاغية، أي تلك التي تقوم على العملية وتلك التي تقوم على الإسناد ومرتبطاته، والأصول المشتركة بين العلمين كما فصلها تمام حسان لا تطابق حقيقة العلاقة بينهما؛ لأسباب منها: أن بعض هذه الأصول لا يقوم عليها النحو، مثل الأصول القائمة على الإسناد، فضلا عن أن بعض هذه الأصول لا يقوم عليها علم المعاني، وهي الأصول العملية، فحين يستعمل عالم المعاني مصطلحات الحال، والمفعول به، ويدرس رتبتهما فإنه لا يقصد بذلك وصف أشكال لغوية وإنما يريد بيان دلالة الرتبة حين تتصل بنيات المتكلمين، وتمثل عملاً من أعمالهم، أي إن علاقة المفعولية بالفعل تتحول إلى علاقة إسناد، على نحو ما أشار إلى ذلك الخطيب القزويني في تفصيله لعلم المعاني (٣٧).

وفي الإطار نفسه انتقد الباحث خالد ميلاد تصور تمام حسان لمعاني الكلام، وهو تصور -بحسب رأيه- جانب النظرية النحوية التراثية، المؤسسة على مفهوم الإعراب، الذي هو أساس النحو، والإعراض عن معاني النحو التي هي أساس الدلالة البلاغية، وقد تجلّى ذلك في كتبه (معناها ومبناها)، وفي سائر مصنفاته، إذ يلاحظ في كتابه الأصول "أن النحو يبدأ بالمفردات وينتهي إلى الجملة الواحدة، على حين يبدأ علم المعاني بالجملة الواحدة وقد يتخطاها إلى علاقاتها بالجملة الأخرى في السياق الذي هو فيه" (٣٨)، وكأن علم المعاني لديه يختلف عن النحو، وكأن أساليب الخبر والإنشاء ليست أساليب نحوية إعرابية في الأساس، والظاهر بحسب خالد ميلاد أن تمام حسان أوقع نفسه بسبب سعيه إلى القضاء على نظرية العامل النحوي في تناقضات متعددة من بينها أنه يُظهر إعجابه بالجرجاني، ويستند إليه في دعم آرائه من ناحية وينكر ما ذهب إليه بعضهم من أن "العامل هو المتكلم"؛ إذ يرى أنه بذلك جعل اللغة أمراً فردياً يتوقف على اختيار المتكلم ونفى عنها طابعها العرفي الاجتماعي الذي هو أخص خصائصها من ناحية ثانية، وكأنه بهذا ينقض مذهب الجرجاني وينقض أسس النظرية التراثية، التي تعدّ البنية العملية محلاً لمعاني النحو ودلالاته (٣٩).

ويرى بعض الباحثين أنَّ تمام حسان لم يأخذ العربية بالوصف من جديد، ولم يجمع لنفسه نصوصاً يختبرها ويجردها، بل أراد أن يتلافى نقص التراث بالتراث نفسه، فاستعان بعلم المعاني، فإذا بالتركيب عنده ينحصر في الإنشاء والخبر، وبما يتفرع عنهما وهو قليلٌ في دراسة التركيب، فضلاً عن اتجاهاه في الدراسة النحوية وجهة بلاغية تركز على المخاطب أولاً ثم على الكلام، فالذي يهمله هو كيف يصل المخاطب إلى الدلالة أي إلى فك رموز البلاغ الموجه إليه؟، ولا يهمله أبداً أن يعرف طرفي التكلم، و كان لا يكثر بدراسة الملكة اللغوية أو ما يسميه القدرة اللغوية، أي لا يهتم بدراسة السرِّ الذي يجعل الإنسان قادراً على إنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل (٤٠)، وهذا النقد كما نلاحظ ينطلق من تصورات توليدية لا من منطلقات تمام حسان الوصفية الوظيفية، ومن غير الصحيح منهجياً محاكمة أصول إجرائية لنظرية محددة على وفق تصورات نظرية أخرى. أما ما ذكره الباحث أحمد العلوي فيمكن القول إنَّ العلاقة بين اللغة بوصفها موضوعاً، والخطاب النظري الباحث في ذلك الموضوع لم تكن أحادية الجانب ولم تستقر في تاريخ الفكر اللغوي على حال واحدة، بل كانت مجالاً لتباين الأفهام وتعدد نقاط الاهتمام واتخاذ آليات وطرائق مختلفة في الدراسة، فإذا ما توافقت في العموميات النظرية التي تشكل نقاط تقاطع بين مختلف النظريات فإنها غالباً ما تتباين في نوع الأسئلة، فتمام حسان حينما يطرح سؤال النحو على المتن التراثي اللغوي العربي فإنه يعرف سابقاً أنَّ النحو يسير على وفق قواعد شكلية محددة لا يمكن تجاوزها، أما سؤال البلاغة فهو يستبطن الأبعاد الدلالية والمعنوية التي يفرضي بها التركيب، بحيث تدمج المعرفة الدلالية مع طبيعة التركيب الشكلية المنضبطة.

الهوامش

١. اللغة العربية معناها ومبناها ٧.
٢. نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ٩.
٣. مناهج البحث في اللغة ١٥٢.
٤. ينظر: مناهج البحث في اللغة ٢٩.
٥. ينظر: اللسانيات واللغة العربية ٥٨/١.
٦. تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ٢٢٣.
٧. ينظر: نشأة الدرس اللساني العربي ٦١.
٨. ينظر: المنوال النحوي العربي ٤١-٤٣.
٩. ينظر: العربية وعلم اللغة النبوي ٢٤٠، و مناهج الدرس النحوي في العالم العربي ٣٢٢.
١٠. ينظر: اللسانيات والجامعة العراقية (بحث) ٥٠٢.
١١. موجز تاريخ علم اللغة ١٩.
١٢. ينظر: في اللسانيات العامة ١٧٩.
١٣. نشأة الدرس اللساني العربي ١٦.
١٤. في اللسانيات العامة ١٧٩.
١٥. مناهج البحث في اللغة ١٧.
١٦. العربية والحدائث (بحث) ٥٢.
١٧. ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٢، ١٣، ١٤.
١٨. مناهج البحث في اللغة ٢٧.
١٩. ينظر: اللسانيات النسبية ٦٧-٦٨.
٢٠. ينظر: العربية وعلم اللغة النبوي ٢١٩.
٢١. ينظر: المنوال النحوي العربي ٤٥.
٢٢. ينظر: المصدر نفسه ٤٧.
٢٣. ينظر: نشأة الدرس اللساني العربي ٨٥.
٢٤. ينظر: أثر الألسنية في تجديد النظر اللغوي (بحث) ٥٢.
٢٥. ينظر: في اللسانيات العامة ٦٦.
٢٦. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٩، و في اللسانيات العامة ١٧٩.
٢٧. تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ٧٢.
٢٨. ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها الصفحات ٢٩٧ و ٢٩٨، والمنوال النحوي ٢٤٧.
٢٩. ينظر: قضايا أبستمولوجية في اللسانيات ٢٣٧.

٣٠. مقالات في اللغة والأدب ٧٩/٢.
٣١. ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية ٢٤، والنظام اللغوي بين الشكل والوظيفة (بحث) ٢٧.
٣٢. ينظر: في اللسانيات العربية ٢٢٥.
٣٣. ينظر: معناها ومبناها ٢٨.
٣٤. ينظر: الإنشاء في العربية ٢٤، ٢٥، والنظام اللغوي بين الشكل والوظيفة ٢٩.
٣٥. ينظر: المنوال النحوي العربي ٢٤٨-٢٤٩.
٣٦. ينظر: الطبيعة والتمثال ٢٣٠.
٣٧. ينظر: المصدر نفسه ٢٣٢.
٣٨. الأصول ٣٤١.
٣٩. ينظر: الإنشاء في العربية ٢٨.
٤٠. ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية ٨٤.

المصادر والمراجع

- أثر الأسنوية في تجديد النظر اللغوي، محمد صلاح الدين الشريف، بحث ضمن أشغال ندوة "اللسانيات واللغة العربية"، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٧٨م.
- أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات- حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، حافظ اسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، ط١، منشورات الاختلاف ولبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩م.
- أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني، عبد القادر الفاسي الفهري (بحث) مجلة الكرمل، ع ١٨، ١٩٨٥.
- الإنشاء في العربية دراسة لغوية تداولية، د. خالد ميلاد، ط١، منشورات جامعة منوبة، تونس ٢٠١١.
- تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة يونسكو، دار الغرب الإسلامي، الرباط ١٩٨٧م.
- الطبيعة والتمثال مسائل عن الإسلام والمعرفة، أحمد العلوي، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط ١٩٨٨م.

- العربية والحداثة، تمام حسان، (بحث)، مجلة فصول، ع٣،
- العربية وعلم اللغة البنيوي- دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، د.حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨م.
- في اللسانيات العامة، د.مصطفى غلفان، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١١م.
- في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات وثقافات، د. سعد مصلوح، ط١، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤.
- قضايا أبستمولوجية في اللسانيات، حافظ اسماعيلي علوي و امحمد الملاخ، ط١، منشورات الاختلاف، ولبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩م.
- اللسانيات والجامعة العراقية، د.حيدر سعيد، مجلة لغة الضاد، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣.
- اللسانيات النسبية النشأة والتكوين، د.محمد الأوراعي، ط١، الدار العربية للعلوم-ناشرون، بيروت، ٢٠١١م.
- اللسانيات واللغة العربية- نماذج تركيبية ودلالية، د.عبد القادر الفاسي الفهري، دار الشؤون الثقافية، مشروع النشر المشترك، بغداد، د.ت.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- مدخل إلى دراسة الجملة العربية، د. محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨.
- مقالات في اللغة والأدب، د.تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.
- مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، د.عطا محمد موسى، ط٢، دار الاسراء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢م.

-
-
- المنوال النحوي- قراءة لسانية جديدة، عز الدين مجدوب، ط١، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، ١٩٩٨م.
 - موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ر.هـ. روبنز، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٨هـ-١٩٨٧م.
 - نشأة الدرس اللساني في الوطن العربي، فاطمة الهاشمي بكوش، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.
 - النظام اللغوي بين الشكل والوظيفة من خلال كتاب تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، صلاح الدين الشريف (بحث)، حوليات الجامعة التونسية، ١٩٧٩.